بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، ونَسْتَعينُهُ، ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

أمَّا بعدُ: فمِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيَّ أَنْ حَبَّبَ إِلَيَّ الحَيَاةَ بَيْنَ مَطَاوِي الكُتُبِ النَّافِعَةِ، وَأَثْنَاء قَرَاءَتي كَانَتْ تَمُرُّ بي القِطْعَةُ مِنَ الكَلامِ البَلِيغِ، الَّتي تَجْمَعُ بَيْنَ الإيجَازِ والإعْجَازِ، بَيْنَ المُتْعَةِ والفَائِدَةِ.

وبَعْضُها تحملُ توقيعاتِ الإمامِ العَلاَّمةِ أَبي الوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ الحَنْبَلِيِّ – رَحِمَهُ اللهُ – كَأَزْهَارٍ مُتَنَاثِرَةٍ في حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ (١)، فيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، اقْتَطَفَهَا العُلَمَاءُ عَنْ كُتُبِ ابْنِ عَقِيلٍ سيَّمَا «الفُنُونُ» إِبَّانَ ازْدِهَارِه، وَقَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ شَمسُهُ، وَمَا غَرَبَتْ إلاَّ حينَ قَلَّ الاهتمَامُ بالْعِلْمِ، وقَعَدَتْ هِمَمُ النُّسَّاخِ عَنْ نَسْخِ مِئَاتِ المُجَلَّدَاتِ، وأَنَّىٰ لَهُمْ نَسْخُ كِتَابٍ لَمْ يُصَنَّفْ في الدُّنْيَا أَكْبَرُ مِنْهُ؟! (٢).

---

(١) قَدْ شَهِدَ لابْنِ عَقِيلٍ بالتَّفَنُّنِ في صِنَاعَةِ الكلامِ عُلماءٌ أعْلامٌ: قالَ شيخُ الإسلام ابْنُ تَيْمِيَّةَ – رَحِمَهُ اللهُ – في «دَرْءِ تَعَارُضِ العَقْلِ والنَّقْلِ» (٥ / ٦٠ – ٦١): «يوجَدُ في كلامِه – أي: ابْنِ عَقِيلٍ – مِنَ الكلامِ البليغِ ما هو مُعَظَّمٌ مَشكورٌ». وقَالَ العمادُ الأصْفَهانيُّ في كتابه «خَرِيدة القَصْر» (٣ / ٢٩): «وجَدْتُ – أي: لابن عقيلٍ – كَلامًا جَزْلاً، سَهْلاً، وأسلوبًا بديعًا رائقًا، ومَنْهَاجًا قويًّا وَاضِحًا». وَقَالَ ابنُ الجوزيِّ – رحمه اللهُ – كما في «الذَّيْلِ» (١ / ٣٢٤): «وكَانَ لَهُ الخَاطِرُ العاطِرُ». قُلْتُ: حَسْبُكَ بِهَا شَهَادَةً، فلا يَعرفُ الفَضْلَ لأَهْلِه إلاَّ ذَوُوهُ، وَمَنْ شَهِدَ لَهُ خُزَيْمَةُ فَهُو حَسْبُهُ.

(٢) قَالَ الذَّهبيُّ – كما في «الذَّيْلِ» (١ / ٣٤٤) عن «الفُنون»: «لم يُصَنَّفْ في الدُّنْيا أَكْبَرُ مِنْ هَذَا الكِتَاب». وقَالَ الإمامُ القَزْوِينيُّ – كَمَا في «الذَّيْلِ» (١ / ٣٤٥) – عن بَعْضِ مَشَايخِه أَنَّهُ قَالَ: «هو ثَمَانُمِائَةِ مُجَلَّدَةٍ».

وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَانَ سَبَبًا في ضَيَاعِهِ – واللهُ أَعْلَمُ –[١] .

وَقَدْ بَقِيَتْ بَعْضُ تِلْكَ الأَزْهارِ في كُتُبٍ مُتَفَرِّقَةٍ، آثَرْتُ جَمْعَهَا في كِتَابي هَذَا، وسَمَّيْتُهُ «**صَيْدُ الخَوَاطِرِ**» .

وأَرَىٰ أَنَّ هَذَا العُنوانَ هُوَ الأَلْيَقُ؛ لأَنَّ جُلَّ مَا في «الفُنون» هُوَ عِبارةٌ عَنْ خَوَاطِرَ، وَهَذَا مِنْهَا، وَقَدْ أَشَارَ إِلَىٰ ذَلِكَ ابْنُ عقيلٍ نَفسُهُ، وبَعْضُ مَنْ نَقَلَ عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ - رَحِمَهُ اللهُ - : «فَمَا أَزَالُ أُعلِّقُ مَا أَسْتَفيدُهُ مِنْ أَلْفَاظِ العُلَمَاءِ، وَمِنْ بُطُونِ الصَّحَائِفِ، وَمِنْ صَيْدِ الخَوَاطِرِ الَّتي تَنشُرُهَا المُنَاظَرَاتُ والمُقَابَسَاتُ في مَجَالِسِ العُلَمَاءِ، ومَجَامِعِ الفُضَلاءِ – طَمَعًا في أَنْ يَعْلَقَ بي طَرَفٌ مِنْ الْفَضْلِ أَبْعَدُ مِنَ الجَهْلِ؛ لَعَلِّي أَصِلُ إِلَىٰ بَعْضِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ قَبْلي»[٢].

وَقَالَ - أَيْضًا - رَحِمَهُ اللهُ - : «إِنِّي لا يَحِلُّ لي أَنْ أُضَيِّعَ سَاعَةً مِنْ عُمُري، حَتَّىٰ إِذَا تَعَطَّلَ لِسَانِي عَنْ مُذَاكَرَةٍ، وَبَصَرِي عَنْ مُطَالَعَةٍ – أَعْمَلْتُ فِكْرِي في حَالِ رَاحَتِي وَأَنَا مُسْتَطْرِحٌ، فَلا أَنْهَضُ إِلاَّ وَقَدْ خَطَرَ لي مَا أُسَطِّرُهُ»[٣].

وَقَالَ الإِمَامُ أَبو الفَرَجِ ابْنُ الجَوْزِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - : «وَكَانَ لَهُ الخَاطِرُ العَاطِرُ، والْبَحْثُ عَنْ الغَوَامِضِ والدَّقَائِقِ، وَجَعَلَ كِتَابَهُ المُسَمَّىٰ بـ«الفُنُونِ» مَنَاطًا لِخَوَاطِرِهِ وَوَاقِعاتِهِ»[٤].

---

(١) طُبِعَ مِنْهُ قِطْعَةٌ في مُجَلَّدَيْنِ في المَطْبَعَةِ الكَاثُولِيكيَّةِ سنَة (١٩٧٠ من تاريخِ النَّصَارَىٰ)، حَقَّقَهَا الدُّكتور/ جُورجُ المَقْدِسيُّ، وَقَدِ اسْتَفَدْتُ مِنْها.

(٢) «الفنون» (١/٧).

(٣) «الفنون» (١/١٢).

(٤) «الذَّيْلُ علَىٰ طَبقاتِ الحَنَابِلَة» لابن رجب (١/٣٢٤).

وأخيرًا: أَسْأَلُ اللهَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ العُلْيَا أَنْ يَجْعَلَ عَمَلِي كُلَّهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَأَنْ يَغْفِرَ لِي ولِوَالِدَيَّ .

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وكتبه

أبو عبد الله

فيصل بن عبره قائد الحاشري

دار الحديث العامرة بِمَعْبَرَ حَرسها الله